٢٠ فالْجَوُّ جَوِّى إِنْ أَقَمْتَ[١] بِغِبْطَةٍ والْأَرْضُ أَرْضِى والسَّماءُ سَمَائى

(ع) الجوّ ما بين السَّماءِ والأرض . والمعنى أنك لمّا أقمتَ صرتُ كأننى أملكُ السماءَ والأرضَ والجوَّ ، لأنى أعِزُّ بك ويَنفُذُ ما آمرُ به . ويُروى « ما أقمتَ بغبطةٍ »[٢] .

---

(١) س ، ن ، ب ، ظ : « إذ أقمت » .

(٢) وهى فى هـ ب .

obeikandl.com

٢

وقال يمدح محمّدَ بن حسّان الضبيّ وكان مدح بهذه القصيدة يحيى بن ثابت :

١ قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ[1] فى الغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرَائِى ؟!

الثانى من الكامل والقافية متواتر .

(ع) : « قَدْكَ » فى معنى حَسْبُك ، وهى كلمة تُستعمل مع المضمرات كثيراً ولا يُعرف استعمالها مع الظاهر ، وإذا جاءت مع المضمر فإنما يُخاطب بها المواجَه ويَعْنى بها المتكلمُ نفسَه ، فيقال قدْكَ يا رجل وقدْنى . قال زَيْد الخيل :

ولوْلا قولُه يا زيدُ قَدْنِى إذاً قامتْ نُوَيْرَةُ بالمآلِ

وعند النحويين أنّ النون دخلتْ هاهنا لتبقى الدالُ على سكونها ، وربما قالوا قَدِى ، والفرّاء يجيز ذلك فى غير الضرورة ، وسيبويه يجعله من الضرورات ، وعلى ذلك تأوّلَ قولَ الراجز :

قَدْنِىَ من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِى
ليس الإمامُ بالشحيح المُلْحِدِ[2]

فياء « قَدْنى » عنده مثل ياء « قدى » ، وحُذفت النون لإقامة الوزن ، كأنّ المعنى حسْبى حَسْبى . وقال غيره : الياء فى آخر البيت للإطلاق كأنّه قال حَسْبُ ، ولا يُعرف فى كلام فصيح قَدْهُ ولا قَدْهَا ولا قَدْ زيد . وقد زعم قومٌ أنها إذا استُعْملت مع الظاهر خفَضَتْه ، وقيل يجوز خفْضُه ونَصْبُه .

---

(١) س : « أسرفت » .

(٢) الرجز لحميد الأرقط ، وأراد بالخبيبين عبد الله بن الزبير وأخاه مصعباً ، وقيل عبد الله وابنه خبيب بن عبد الله بن الزبير ، وكان عبد الله يكنى بأبى خبيب ، قال الراعى :

ما إن أتيتُ أبا خُبيبٍ وافداً يوماً أريد لبيعتى تبديلا

ومن روى الخبيبين على الجمع يريد ثلاثتهم ، وقال ابن السكيت : يريد أبا خبيب ومن كان على رأيه (اللسان مادة خبب) .

والصحيحُ أنها تُستعمل مع الكاف والنون والياء ، بهذه الأحرف جاء السماعُ من العرب .

ومعنى « اتئبْ » استحى ، وهى مأخوذة من الإبَة أى الحياء ، وأصل الإبَة وِئْبَةٌ مثل وِجْهَة فحذفت الواو كما حُذفتْ من عِدَة ، قال ذو الرّمة :

إذا ما المرءُ (١) شَبَّ له بَنَاتٌ عَقَدْنَ برأسِهِ إبَةً وعَارَا

وقال ضَمْرَةُ بن ضَمْرَة النَّهْشَلىّ :

أأصْرُمُها وبُنَىَّ عَمِّى ساغِبٌ وكفَاكَ من إبَةٍ بذاكَ (٢) وعَابِ!

وأمّا قولهم أوْأبَهُ إذا أغضبَه فالمعنى فعل به فعلاً يُستحيا من مِثْله ، قال الراجز :

لمَّا أتَاهُ خاطِبًا فى أرْبَعَهْ
أوْأبَهُ وسَبَّ مَنْ جاءَ مَعَهْ

و « الغُلَوَاء » فُعَلاء من غلا يغلو إذا زاد فى القول والفعل ، ومنه الغَلْوة بالسهم وهو أن يُرمَى به إلى غير غَرَض لِيُنظَرَ كَم مقدارُ ذَهَابه فى الأرض ، ويُقال فلان فى غُلَوَاءِ شبابه أى فى سَوْرته ونَمائه ، قال ابن قيس الرُّقَيَّات :

لم تَلْتَفِتْ لِلِدَاتِهَا وَمَضَتْ على غُلَوَائِها (٣)

يريد أنها شبّت شباباً سريعاً سَبَقتْ فيه أترابَها ، وكذلك يقال الغُصن فى غُلَوائه أى فى أوّل زمانه وارتفاعه ، قال الشاعر :

إلاّ كناشِرَةَ الذى ضيَّعْتُم كالغُصْنِ فى غُلَوائِهِ المُتَنَبِّتِ (٤)

---

(١) ب ، ن : « إذا المرَئ » بفتح الراء وهى رواية اللسان (مادة وأب نسبة إلى امرئ ، وفيه قال ابن برّى : المرَئ منسوب إلى امرئ القيس ، رجل كان يعادى ذا الرمة ، على غير قياس ، وكان قياسه مرئ بسكون الراء على وزن مَرْعى . وقال فى مادة (مرأ) : وهو من القسم الذى وقعت فيه الإضافة إلى الأول دون الثانى لأن امرأ لم يضف إلى اسم علم فى كلامهم إلا فى قولهم امرؤ القيس ، وأما الذين قالوا مَرَئى فكأنهم أضافوا إلى مَرْء فكان قياسه على ذلك مرئى ، ولكنه نادر معدول النسب .

(٢) ب ، ن : « على » . والوأب بالفتح الاستحياء والانقباض ، وأب يَئِب إبةً ، وأتأب استحيا .

(٣) ديوانه ٢٨٠ ، والرواية فيه « على غلوائها » واللسان مادة « غلا » .

(٤) البيت فى اللسان مادة « نبت » قال : وقيل المتنبت هنا المتأصل ، وقوله « إلا كناشرة » أراد إلا ناشرة فزاد الكاف .

وقال : « كم تعذلون » فخرج من خطاب الواحد إلى خطاب الجميع ، ومثله كثير فى القرآن والكلام القديم ، ومنه قوله تعالى : « يا أيها النبيُّ إذا طلقتم النساء » ، وقال جرير :

ياطيبَ هَلْ مِنْ مَتَاعٍ تُمْتِعِينَ بِهِ ضَيْفًا لَكُمْ رَاحِلًا يَاطِيبَ عَجْلَانَا (١) ؟!

و « سُجَرائى » أى أصدقائى واحدهم سَجير ، ويُحتمل أن يكون مأخوذًا من السَّجْر الذى هو حنين الإبل ، يقال سَجَرت الناقة سَجْرًا إذا مَدَّتْ صوتَها بالحنين ، كأنَّ كل واحد منهما يُساجر الآخر ، فصار المُفاعل فَعيلًا كما يُقال نادَمَه فهو مُنادِم ونَدِيم ، وقد يمكن أن يكون السَّجير من السَّجْرِ الذى هو المَلْء . كأنَّ كلَّ واحد منهما يُفضى إلى صاحبه بسِرّه وما يكتُمه عن غيره فيملأ به سوادَ قلبه ، ولا يمتنع أن يُؤخذ من السجْر الذى هو تفريغ الشيء كأنَّ كلَّ واحد منهما فَرَّغ صدرَه لودِّ صاحبه . وجمع سَجير سُجَرَاء .

ومعنى البيت أنه يقول له : [ص] حسبُكَ استحى كم تعذلون وأنتم تحبون كما أُحب . وقوله : « قَدْكَ اتئبْ » كلام مختلف المعنى ، يريد ارفُقْ استحى ، والعرب ربما كرّرت الشيءَ تريد التوكيدَ والمعنى واحد ، وهذا كقولهم عجِّلْ أسْرِع ، ولا يكون هذا عندهم عيباً ، فكيف يعاب أبو تمام وقد جمع بهذا الكلام بين معنيين مختلفين * (٢) .

٢ لا تَسْقِنِى ماءَ الملامِ فإنَّنِى صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكائِى

أى لا تلُمْنى فإنى عاشقٌ قد ألفتُ البكاءَ واستعذبتُه فلا أكاد أقلع عنه

---

(١) ديوانه : ٥٩٤ ، والرواية فيه « ضيفاً لكم باكراً » .

(٢) أتى الصولى فى شرحه بشاهد لم يذكره التبريزى وهو قول الراجز :

* مهلا رويداً قد ملأتَ بطنى *

وقال ابن المستوفى : هذا البيت من ردىء شعر أبى تمام ، إلا أن قوله : « قدك اتئب أربيتَ » كلام منتظم غير محتاج أن يقال فيه إنه مكرّر للتوكيد ، ومعناه مختلف لأن أبا تمام ركبه تركيباً صحيحاً فقال حسبك ، استحى منى ، زدتَ فى ملامى . وقول الصولى « كم تعذلون وأنتم تحبون كما أحب » غير مستقيم ، وإنما أرادكم تعذلوننى وأنتم أصحابى وخلطائى وتعلمون ما بى . ثم قال : وفى حاشية الكتاب المذكور ط : إنما قال أبو تمام لواحد من أصحابه قدك ، وللثانى اتئب ، وللثالث أربيت ، يدل عليه قوله : « كم تعذلون » والأصحاب لا تكون أقل من ثلاثة . وهذا الذى ذكره بعيد متعسف ، وذلك لأن العرب تنصرف من خطاب الواحد إلى الجماعة وتفعل ذلك فى عكسه ، ولو استقام له ذلك لم يرجع أبو تمام إلى خطاب الواحد فيقول : « لا تسقنى ماء الملام » .

للوَمْك إيَّاى ، فكُفَّ عنى [ص] وكما قال فى آخر البيت : « ماءَ بكائى » قال فى أوله : « لا تسقنى ماء الملام » وأقحم اللفظ على اللفظ إذْ كان من سببه ، كقول الله تعالى : « وجزاء سيِّئَةٍ سيِّئَةٌ مِثلُها » . فالثانية جزاءٌ وليست بسيئة ، فجاء باللفظ إذْ كان من سببه ، لأن الله تعالى يقول : « ولَمَنِ انتَصَر بعد ظُلْمه فأولئك ما عليهم من سبيل » ، وقال : « فبشِّرْهم بعذاب أليم » والبشارةُ إنما تكون فى الخير لا فى الشر [ع] : جعل للملام ماءً مستعارًا ، وإذا كان ممَّا يَقع عليه التشبيه فهو أقرب وأيسر كقول الطِّرِمّاح :

فقلت لها يا أمَّ حسَّانَ إنَّه هُرِيقَ شَبَابِى واستَشَنَّ أَدِيمى (١)

جعل الشبابَ يُهراق لأنه قد يُشبَّه الشباب بالغصن الذى يُعتَصر منه الماء .

وقول ذى الرّمة (٢) :

أأنْ ترسَّمْتَ من خَرْقاءَ مَنْزِلَةً ماءُ الصَّبَابَةِ من عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ ؟!

غير مستعارٍ لأن ثَمَّ ماءً وهو الدمع ، والمعنى الماء الذى يحدث عن الصّبابة (٣) .

٣ ومُعَرَّسٍ لِلْغَيْثِ (٤) تَخْفِقُ بَينَهُ (٥) رَايَاتُ كلِّ دُجُنَّةٍ وَطْفَاءِ

(ع) : أصل التَّعْرِيس النزول فى آخر الليل ، وقيل بل أصل التَّعريس من عَرِسَ بالشىء إذا لَزِمه ، ومن ذلك قولهم عِرِّيسُ الأسَد وعِرِّيستُه للموضع الذى يألَفُه ، ومن أمثالهم :

* كمُبْتَغِى الصَّيدِ فى عِرِّيسةِ الأسَدِ (٦) *

---

(١) فى الأصول « واستسر » والتصحيح عن ظ ، واستشن السقاء أخلق ، والشن القربة الخلق . ولم نجد البيت فى ديوانه .

(٢) الديوان : ٥٦٧ ، والرواية فيه « أعن ترسمت » الخزانة ١ : ٣٧٩ ، أخبار أبى تمام ٣٤ .

(٣) تحدث الصولى فى كتابه أخبار أبى تمام حديثاً مستفيضاً عن هذه الاستعارة حين أنكرها بعضهم ، وكذلك الآمدى فى كتابه الموازنة (ط إسطنبول ص ١١٢) ولم يعبه بل دافع عن البيت ودلل على صحة الاستعارة .

(٤) س : « للبين » وبهامشها رواية الأصل – ظ : « للركب » .

(٥) فى ش ، د ، ل « فوقه » ، غير أن قول التبريزى فى شرح هذا البيت : « وقوله بينه . . إلخ » يدل على أن الرواية عنده « بينه » . وفى ق : « وسطه » .

(٦) مجمع الأمثال ٢ : ٦٩ ، والمثل فيه « كمبتغى الصيد فى عرينة الأسد » يضرب مثلا لمن طلب محالا .

وخصّوا النزولَ بالليل فى أكثر كلامهم ، ويُنْشد :

فلوْ كنتِ ماءً كنتِ ماءَ غَمامةٍ ولوكنتِ نَوْمًا كنتِ تَعْرِيسَةَ الفَجْرِ

أى النومُ الذى يكون عند التّعريسة . وقد يمكن أن يُسمَّى كلُّ مُقَامٍ مُعَرَّسًا ، قال أبو وَجْزَة :

تَجَلَّلَهَا عالٍ عَتِيقٌ وزَانَهَا مُعَرَّسُ مُهْرِىٍّ به الذَّيْلُ يَلْمَعُ

جعلَ موضعَ الجنين فى رَحِم الناقة مُعَرَّسًا له . وهذا فى بيت الطائى من المستعار ؛ لأن التّعريسَ إنما يُعرف لذوى الشُّخوص من الحيوان . و « الرايات » يعنى بها البروقَ لأنها تُشبَّه بذلك . و « الدُّجُنَّة » ليلة ذات دَجْنٍ ، وكأنه عَنَى السحابةَ فى هذا البيت . و « الوطْفَاء » من صِفة السحابة يُراد بها المتدلية الهَيْدب ، أُخِذتْ من الجَفْن الأوطف وهو الكثير الشعرِ الطويل الهُدْب ، وكذلك الحاجب ، يُقال سحابة وَطْفَاء ، ولا يمتنع أن تُوصفَ الليلةُ بهذه الصفة إذا كانت فيها سحابةٌ ذاتُ وَطَفٍ ، ويكون هذا الصِّنْف مثلَ قولهم نامَ الليلُ وإنما يُنام فيه . وقوله : « تخفق بينَه » أى تضطرب كما تَخفِق الرايةُ إذا هبَّتْ بها الريح ، وإنما أراد البرقَ لأنه يُشبّه بالرايات .

٤ نَشَرَتْ[1] حَدَائِقَهُ فَصِرْنَ مَآلِفاً لِطَرَائِفِ الْأَنْوَاءِ والْأَنْدَاءِ

(ع) : المعروف فى الحدائق أن تُستعمل فى النخل والكرْم ، والواحدة حديقة ، وإنما قيل لها ذلك لأنه يُبنَى حولها شىء يُحدِق بها يمنعها من دخول وحشٍ أو سارق ، فيجوز أن يكون استعار هذا اللفظَ لما يُنبته السحاب ، ولا يمتنع أن يعنى بالحدائق التى هى معروفة عند العامّة ثم أضافها إلى الغيث لأنه أمطرها وأرواها . فأمّا الحدائق فى الكتاب العزيز فمخصوصٌ بها النخل لقوله تعالى : « وحدائقَ غُلْبًا » وقالت امرأة من العرب :

أُعْطيت فيها طائعًا أو كارها
حديقةً غلْبَاءَ فى جِدارها

---

(١) ظ : ويروى « نُشرت » بالبناء للمجهول ، وقال الآمدى : « نشرت حدائقه » أى حييت ، من قولهم أنشر الله الموتى فنشروا أى حيوا ، وأراد أن هذه الحدائق حييت بالغيث الذى ذكره .

فقولها « فى جدارها » يدلُّ على أنها سُمِّيتْ حديقةً لأجل ما يُبنَى حولها ، وكانوا يُسمُّون البستانَ الحائطَ لأنه يُبنى حوله . فيكون معنى البيت على الوجه الأول : [ص] أنّ هذه السحابةَ نَشَرَتْ حدائقَ هذا المُعَرَّس ، أى نَبْتَه ، فصارت الحدائقُ مآلِفَ لطرائفِ هذه الأمطار من كثرة تَرَدُّدِها عليه[1] .

٥ فَسَقَاهُ مِسْكُ الطَّلِّ كَافُورُ الصَّبَا[2] وانْحَلَّ[3] فِيهِ خَيْطُ كُلِّ سَمَاءِ

(ع) : فى هذا البيت ثلاثة أشياء مستعارات : المسك والكافور والخيط . والطَّلُّ أضعف المطر ، وإنما خَصَّه بالمسك لأن المطرَ الضعيف إذا أصاب التّرابَ فاحت له رائحةٌ طيبة فكيف به إذا أصاب الرَّوض ؟ وجعل الكافورَ مستعارًا للصَّبَا لأنه أراد بَرْدَها ، وجعلها سببًا لمجىء هذا الطَّلّ ، فجمع بين شيئين متضادَّيْن من الطّيب وهما الكافور والمسك لأن أحدَهما باردٌ والآخرَ حارّ . وقوله : « وانحلَّ فيه خيطُ كلِّ سماءٍ » أراد بالسماء المطرَ ، وكَنَى بانحلال الخيط عن وقوع الغيث لأنّ الشىءَ إذا كان مشدودًا بخيط فانحلَّ أدَّى ذلك إلى سقوطه وتَبَدُّده ، وأصلُه فى القربة والمزادة ، وهذا كقولهم ألْقَى أرواقَه بمكان كذا وألْقَى الغيثُ بَعَاعَه أى ثِقْلَه[4] .

٦ عُنِيَ الرَّبِيعُ بِرَوْضِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى إِلَيْهِ الوَشْيَ مِنْ صَنْعَاءِ

شبَّه ألوانَ الزَّهَر بوَشْى صَنْعاء فكأنّ الرّبيع تأنّقَ فى تربيته ، وكانت صنعاءُ معروفةً بعمل الوَشْى ، وهو كلّ ما نُقِش من الثياب وحُسِّنَ ، ومنه

---

(١) ن ، ب : عليها .

(٢) ظ ، د : « كافور الندى » .

(٣) هـ س : ويروى « وانحط فيه » .

(٤) قال الصولى فى شرحه : « طيب الصبا يجمع الغيم ويجلب طيب الطل ، فاستعار المسك والكافور لطيبهما واختلافهما فى شدة الحرارة ، ولا أعرف فى وصف كثرة المطر أحسن من قوله وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء إلى الأرض وهو قوله : « وانحل فيه خيط كل سماء » ، وقال ابن المستوفى فى الرد عليه : لا معنى لقول الصولى وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء إلى الأرض ، وإنما أراد أبو تمام حسن الاستعارة فجعل لكل مطر خيطاً معقوداً ثم جعله منحلا فيه ، يعنى سقاه كل مطر ، كما يقال حل السحاب عزاليه ، والعزلاء فم المزادة السفلى وإنما تكون مشدودة بخيط .

اشتقاق الواشي من الناس لأنه يُزيِّن القطيعة للأصدقاء ، ويُقال للذى ينقش الدِّينارَ واشٍ ، وكذلك لكلِّ ناقشٍ شيئًا ، قال الشاعر :

فما هِبْرِزِيٌّ منْ دَنانيرِ أيْلَةٍ بأيْدِي الوشَاةِ بارزًا يتأكَّلُ[1]

[ع] وصنعاء اسم قديم ولم يستعملوه إلاَّ فى هذا البلد ، ولم يقولوا امرأة صَنْعاء ولا غيرَ ذلك ، فيجوز أن تكون كلمةً موضوعة لم يُستعمل منها مذكّر ، ويحتمل أن يكون أصلُها أن تجرى على « أفْعَل » وتُرك استعمالُه كما قالوا دِرْعٌ حَصْداء ولم يقولوا حديدٌ أحْصَد ، ولا ريب أنها سُمِّيت بذلك لما يُصنع فيها من البُرُود وغيرِها ، وهى ممدودةٌ ولا تجىء مقصورة إلاَّ فى الضرورة ، قال الشاعر :

خليلىَّ مِنْ عُلْيا هلالِ بن عامرٍ بصَنْعَاءَ عُوجا اليومَ وانتظرانى

وقال الراجز فى القَصْر :

* لا بُدَّ من صَنْعا وإنْ طالَ السَّفَرْ *

٧ صبَّحتُه بِسُلافَةٍ صَبحتُها بِسُلافَةِ الْخُلَطاءِ والنُّدَمَاءِ

(ع) : « السلافة » الأولى مُرادٌ بها الخمر ، واشتقاقُها من قولهم سَلَفَ أى تَقدَّمَ ، ويُقال إنَّ ذلك مَعْنًى به أول ما يَسيل منها إذا اعتُصرتْ ، ويقال هو ما بدَرَ منها من غير عَصْر ، ثم كثر ذلك حتى سَمَّوُا الخمر سُلافة ، وقالوا سُلاف الحديد يُريدون خالصَهُ ومُتقدِّمَه . و « السُّلافة » الثانية على معنى الاستعارة ، جعل الذين صبّح بهم هذه السُّلافةَ سُلافةَ مَنْ خالطَ ونادمَ ، أى أفضلَهم[2] ، وهذا من قول أبى نواس :

الرَّاحُ طيِّبَةٌ وليس تَمامُها إلاَّ بطيبِ خَلائقِ الجُلاَّسِ[3]

---

(١) البيت فى اللسان (مادة هبرز) لرجل يرثى ابناً له . رواه ابن الأعرابى وقال : الهبرزى الدينار الجديد أو هو الذهب الخالص كالإبرزى وهو الإبريز . وأيلة مدينة على شاطئ البحر فى منتصف ما بين مصر ومكة (معجم ما استعجم ١ : ٢١٧) وأنشد ابن الأعرابى (مادة أيل) .

فإنكم والملكَ يا أهل أيلةٍ لكالمتأبى وهو ليس له أبُ

والوشاة ضرابو الدنانير . ويتأكل يأكل بعضه بعضاً من جسنه .

(٢) قال المرزوقى : يجوز أن يكون أراد : صبحتُ الخمرة بأخلاق لهم خالصة كريمة طيبة كالسلافة ، ويجوز صبحتها بخلصان الإخوان . (٣) الديوان ص ٢٩٥ .

٨ بِمُدَامَةٍ تَغْدُو المُنَى لِكُؤُوسِهَا خَوَلاً عَلَى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ

[ص] يقول : تساعد المُنَى الكؤوسَ على السَّراءِ بالزيادة فيها ، وعلى الضرّاءِ بإزالتها حتى تُزيلَها[1] (ع) : المُدامة الخمر ، وقوله « بمُدامة » بدل من قوله فى البيت الأول « بسُلافة » لأنّ البدلَ قد يُرَدّ معه العاملُ ، فيقال مررت بأخيك بالرجلِ الصالح . والمُدامة قيل هى مِن أُديمَتْ فى الدَّنّ أى تركتْ فهذا من دام يدُوم ، وقيل سُمِّيتْ مُداماً ومدامةً لأنه يدام بها على الشَّرْب أى يُدَارُ ، ومنه اشتقاق الدُّوَامة لدورانها ، وكلّ شىءٍ استَشْبَتَّه فقد استدمْتَه ، ويقال استدام القومُ إذا استداروا ، قال الشاعر :

إذا فَزِعُوا لِصَاعِقَةٍ أَتَتْهُمْ رَأَوْا أَحْرَى تُحَرِّقُ فاستَدامُوا[2]

والخَوَلُ أصلُه ما يَملكه الرجلُ مما خوَّله الله ، وأصل ذلك فى العَبيد والإماء والإبل ، ثم استُعير ذلك فى جميع الأشياء . وهو فى البيت مُستَعار[3] .

٩ رَاحٌ إِذَامَا الرَّاحُ كُنَّ مَطِيَّهَا كانَتْ مَطَايَا الشَّوْقِ فِى الأَحْشَاءِ

« الراح » الأولَى الخمر ، وهى من ذَوَات الياء لقولهم رِيَاح فى معنى رَاح ، ومنها اشتقاق الأَرْيحىّ والأريحيّة ، وبعض الناس ينشد قول امرئ القيس :

كأنَّ مَكَاكِيَّ الْجِوَاءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ رَحِيقاً مِنْ رِيَاحٍ مُفَلْفَلِ[4]

وكأنهم إذا استعملوا الشىء بالواو والياء فرقوا بإبدال إحداهما من الأخرى ليكون ذلك أقلَّ لِلَّبْس ، لأنهم لو قالوا رجل أَرْوَحِىٌّ لالتبسَ بالنَّسَب إلى

---

(١) وهذا لفظ المرزوقى كما فى ظ.

(٢) البيت لجرير (ديوانه ٥١٣) وروايته فيه : « إذا أوقعتُ صاعقة عليهم ». وكذلك هو فى اللسان (مادة دوم) .

(٣) قال المرزوقى فى ق : والخول جمع خائل وأصله الراعى ، يقال : هو يخول على أهله ، وهو قول الفراء . كما فى ظ ، وفيها كلام المرزوقى هذا ، وقال : وقال غيره هو من التخول أى التمليك - فعلى الوجه الأول كما يقول ابن المستوفى أراد تغدو المنى وقد غضبت لأصحاب كؤوسها كيف يتصرف فيهم غيرها من نحو الفكر والهم . وعلى الوجه الثانى أن المنى تصير مملوكة لهم يتصرفون فيها فى حالتى سرائهم وضرائهم فيتمنون ضروب الأمانى وهذا يحكيه معظم من يشرب الخمر .

وقال أيضاً : وفى نسخة : أى تصير الأمانى خولا لكؤوسها فيظن شاربها أنه أغنى الأنام وأنه خول كل شىء كما قال :

وإذا شربت فإننى رب الخورنق والسدير

(٤) رواية البيت المشهورة فى معلقة امرئ القيس : « صبحن سلافاً » .

أَرْوَح ، إذا قلتَ هذا أروح من هذا ، وهذا ظَلِيمٌ أَرْوَح ، فيؤثِرون الفرقَ فى كثير من الكلام إذا وَجدوا سبيلاً إليه . و« الرَّاح » الثانية جمع رَاحة الكفّ ، فأمّا الراحة من التّعب فقد جاءتْ بالهاء وبغير الهاء ، وهذا البيت أنشدَه الفرّاء على الوجهين :

ما لَكَ لا تَنْحِمُ[1] يا فَلاَحَهْ
إنّ النَّحِيمَ للسُّقاة رَاحَهْ ؟

وبعضُهم يُنشِد : « يا فَلاحُ » ، « إنّ النَّحِيمَ للسُّقَاةِ راحُ » فأمّا قول الآخر :

ولقيتُ ما لقيتْ مَعَدٌّ كلُّها ونسيتُ[2] رَاحى فى الشباب وخالى

فيُقَال إنه أرادَ بالرّاحِ الأريحيّةَ وبالخالِ الخُيَلاء . وقوله « كُنّ » رَدّه على جمع الرّاحة ، وإذا جاءَ الجمع ليسَ بينه وبين واحدِه إلاّ الهاء جازَ فيه التأنيث والتّذكير ، فيقال على هذا : الرّاح مُلِئَ من عطائك ، ويَجوز مُلِئْنَ ، على قول مَنْ قال النساء قامَتْ ، ومَن قال النساء قُمنَ قال الرّاح مُلِئْنَ . « والمَطِىّ » جمع مَطِيّة ، وقيلَ إنها سُمِّيت بذلك لأن مَطاها يُركَب أى ظهرُها ، وقيل سُمِّيتْ بذلك لأنّها يُمطَى بها السير أى يُمَدّ ، ويقال للذّكرِ والأنثى مَطِيّة[3] .

---

(١) فى الأساس نحم الفهد نحيماً صوّت ، والحمال ينحم ويستعين بنحيمه على حمله ، وكذلك نازع الدلو . ثم ذكر البيت وقال : ورجل نحّام : بخيل ، إذا سئل نحم .

وفى اللسان ذكر البيت ، أنشده ابن برى على الرواية الثانية ، وأنشده أبو عمرو على الرواية الأولى ، وقال : فلاحة اسم رجل .

(٢) البيت للجميح بن الطلاح الأسدى كما جاء فى اللسان مادة « روح » وروايته فيه « وفقدت راحى » وهى أيضاً رواية نسختى ن ، ب . وقال : الراح الارتياح ، والخال الاختيال والخيلاء ، فقوله « وخالى » أى اختيالى .

(٣) قال الصولى فى شرح البيت : يعنى أن شاربها يرتاح ويشتاق أحبابه ، فكأن الكؤوس كانت مطايا لهذا الشوق حملته حتى أدته . والراح الخمر لارتياح شاربها . وفى ظ : قال ابن المستوفى وفى نسخة : « كانت مطايا الشوق فى الأحشاء » يعنى أنها حملته بعد أن كان ساكناً فحركته وبعثته إلى الشائق ، وهذا مثل قوله : « ماء الملام » « وماء بكائى » لما جعل الأكف مطايا الراح جعل الراح مطايا الشوق . ويجوز أن يكون حملته لترحله عن الأحشاء بمعنى أنها تنسيه .

وقال ابن المستوفى فى آخر كلامه : وقلما تقع استعارته مستهجنة رديئة ، وقد وقع منها فى هذه القصيدة جملة .

١٠ عِنَبِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ سَبَكَتْ لها ذَهَبَ المَعَانِي صَاغَةُ الشُّعَرَاءِ

أيْ عِنَبِيَّةُ الأصلِ ذَهَبِيَّةُ اللَّوْن . يقول : هذه الخمرُ ممّا اعتُصرتْ مِن العِنَب ولونُها لون الذّهب ، وقد بالَغَتِ الشعراء فى وَصْفها حتّى اختاروا لها معانِيَ وألفاظًا كأنّها سبائك الذهب ، و « سَبَكتْ » أذابت .

١١ أَكَلَ الزَّمَانُ لطُولِ مُكْثِ بَقَائِها مَا كانَ خَامَرَهَا مِنَ الأَقْذَاءِ[1]

١٢ صَعُبَتْ ورَاضَ المَزْجُ[2] سَيِّئَ خُلْقِهَا

فتَعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلْقِ المَاءِ

١٢ – [ص] يقول : هى شَدِيدةٌ قَوِيّة والماء لَيِّن ، فإذا مُزِجَتْ به أخذَتْ من لِينه[3] فسَهُلَ شُرْبُها .

١٣ خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بالعُقولِ حَبَابُهَا كَتَلَعُّبِ[4] الأَفْعَالِ بِالأَسْمَاءِ

[ع] « الخَرْقَاء » التى لا تُحسِن العملَ مِن النِّساء ، فاستعارَ هذه الكلمةَ للرّاح ، ولعلَّها ما وصفَتْ بالخُرْقِ مِن قِبَلِ الطائى ، ثُمَّ ذكرَ مع ذلك أنها تُحسِن اللَّعِبَ بعقُولِ الشَّرْب كتَلَعُّبِ الأفعالِ بالأسماء ، يُرِيد أنّها تغيِّرها من حال إلى حال فترفعها تارةً وتَنصِبُها أخرَى » . [ص] و« الحَبَاب » طرائِق الماءِ فيها إذا مُزِجَتْ .

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ش ، ل ، د ، ظ . وجاء فى نسختى ب ، ن من التبريزى وفى م من الصولى ، وروايته فيها « بطول مكث بقائها » .

(٢) فى ظ : قال الصولى : ويروى « وراض الماء » ، ولم أجد هذه الرواية فيما بين يدى من نسخ الصولى .

(٣) قال ابن المستوفى أخذه من قول أبى نواس :

ألا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تُهينها

(٤) س ، د : « كتلاعب » .

١٤ وضَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً[١] قَتَلَتْ ، كَذلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ

[ص] يقول : الخمرُ على شدّتها ضَعيفةٌ ليسَ لها بَطْشٌ ، فإذا أُكْثِرَ منها قَتَلَتْ . وقوله : « كذلكَ قدْرةُ الضعفاءِ » يعنى أنّ الضعيفَ يَعمل الشيءَ بفَرَق فهو لا يُبْقِى مخافة أن يُعطَفَ عليه فلا يكون فيه فَضْلٌ للمقاومة[٢] . و « الفُرصة » الخُلْسَة ، وقد ألمّ بقول الشاعر :

ضَعَائِفٌ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلاَ دَمٍ فيا عَجَبًا للقاتلاتِ الضَّعائفِ[٣]!

١٥ جَهْمِيَّةُ الأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الأَشْيَاءِ

[ع] ويروى « جَهْمِيّة الوصّافِ[٤] » وهو أجود من « الأوصاف » لقَوْلِه « لقّبُوها » فأعادَ الضميرَ إلى المذكورين ، فهو أحسن من الرّواية الأخرى .

وهذا البيت مبنىٌّ على ما قبلَه ، وهو نحو من قوله : « خَرْقاءُ يَلعَب بالعُقُولِ حَبَابُها » لأنه أخبر عنها بالشيءِ وخلافه .

والجهميّة طائفةٌ من المتكلّمين يُنسَبون إلى رجل يُقال له جَهْمٌ ، ومِن اعتقادهم أنّ الإنسانَ لا يستطيع أن يفعلَ شيئًا ويُلزمونَه العقوبةَ على ما يفعل فتقَعُ بذلك المناقضة .

والطائىُّ مِن وصّاف الخَمْر ، فكأنّه قد ذهَبَ مَذْهبَ جَهْم لأنه يجعل الخمرَ لا فِعْلَ لها ، ثم يَزعُم أنّها أسْكَرتْه وشوّقته ، فيختلفُ خُبَراه عنها فى الحال الواحدة . وقوله « جَوْهر الأشياءِ » هذا ضَرْب من صِناعة الشعر يسمّيه

---

(١) ل : « قوة » — ظ ، هـ س : « قدرة » — وجاء فى ظ أيضاً : ويروى « غفلة » ، وفى د « فرصة الضعفاء » .

(٢) وقال الصولى فى شرحه : وقد ألمّ فى هذا بقول جرير فى النساء فصيره فى الخمر :

يصرعن ذا اللب حتّى لاحراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

(٣) نسب ابن المستوفى هذا البيت إلى عمارة بن عقيل وقال : وإلمام أبى تمام ببيت عمارة أوضح من إلمامه ببيت جرير .

بعد قوله « ضعائف » البيت يبدأ خرم كبير فى نسخة ن وسننبه إلى انتهائه .

(٤) كذا رواها المرزوقى فى كتابه ، وكذلك جاءت هذه الرواية فى هـ س .

أصحاب النقد التّورية ، وذلك أنه ذكرَ هذه الطائفةَ من المتكلمين — ومن شأنهم أن يتكلموا فى الجوهر والعرَض — فأوهمَ السامعَ أنه يُريد الجوهرَ الذى يستعمله أصحاب الكلام ، وإنما يُريد الجوهرَ الذى هو رَوْنَق الشىء وصَفاؤه ، من قولك ظَهرَ جَوْهر الشىء ، أى أنّ الأشياءَ ليس لها حُسْنٌ إلاّ بالحمر . وأصحاب المنطق يجعلون الجوهر الذى يُسمّيه غيرهم الجِسْم ، فالأرض عندهم جَوْهَر ، وكذلك الإنسانُ والفرَس . والمتكلّمون المُحْدَثُون يقولون الجوهر الجزء الذى لا يَتَجَزّأ ، وهذا الفن من صناعة النظم مثل قول البحترى :

* بَيْضاءُ تَمْلُح فى القُلوبِ وتَعْذُبُ[1] *

فظاهر اللفظ يَدل على أنّ « تَملُح » من المُلُوحة وهو ضد « تَعْذُب » ، وإنما أراد « تَمْلُح » من المَلاحة فاتّفقَتْ له التَّورِيَة . * (المرزوقى) يقول : كان جَهْمُ بنُ صَفْوانَ يَمتنع من أن يُسَمّى اللهَ تعالى شيئًا ، ويعتقد أنّ هذه اللفظةَ إنما تطلَق على المُحْدَثات : الجَواهِر والأعراض ، فيقول : رَقّتْ هذه الخمرة حتّى كادَتْ تَخرج من أن تكون عَرَضًا أوجوهرًا ، وأنْ تُسَمّى شيئًا ، إلاّ أنها لفخامة شأنها لُقّبتْ جَوْهرَ الأشياء . ويجوز أن تكونَ لِعِتْقها وقِدَمِها سُمّيتْ أصْلَ الأشياءِ وأوّلَ الأشياء[2] .

---

(١) ديوان البحترى (ط إستامبول) ٢ : ١٨٨ والبيت فيه :

ووراء تسدية الوشاة ملية بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

(٢) كثر الكلام والخلاف فى هذا البيت وتفسير مذهب جهم بن صفوان . فقال الصولى : مذهب جهم الجحد وقلة التحصيل ، فيقول : من رقتها تكاد لا تُتحصل إلا أنهم على حال قد جعلوها جوهراً أى أصلا للأشياء ، يريد قدمها .

ونقل ابن المستوفى كلاماً للمرزوقى يرد به على الصولى قال : والذى نسبه إلى جهم من الجحد وقلة التحصيل ليس بمذهب جهم ، والحق فى هذا هو أن من مذهب جهم بن صفوان أن يمتنع من أن يسمى الله تعالى شيئاً . . . فيقول أبو تمام : هذه الخمر لرقتها لا يسمونها شيئاً لكنهم لعتقها وقدمها جعلوها أصل الأشياء وجوهرها . وهذا هو الذى لا يجوز غيره ، وقد بسطناه بأتم من هذا فى تفسير المشكلات .

ونقل ابن المستوفى كلاماً للآمدى فى هذا البيت يقول : قد أكثر الناس فى تعاطى تفسير « جهمية الوصاف » وأقرب ما سمعت فيه أن جهماً كان يقول إنه ليس شىء على الحقيقة إلا الله تعالى ، إذ كل شىء يبطل ويتلاشى غيره ، والأشياء كلها أعراض ألفها وخلقها ، وأظن أن أبا تمام أراد أن الراح لرقتها عرض لا جسم ، وهذا مذهب قريب . وقوله : « قد لقبوها جوهر الأشياء » وهو الذى لم أرهم يصححون له تفسيراً إلا على الظن ، لأنهم ما رأوا أحداً لقبها هذا اللقب ، وقد سمعت من يقول إنما أراد قدمها فإن من=

١٦ وَكَأَنَّ بَهْجَتَهَا وَبَهْجَةَ[1] كَأْسِهَا نَارٌ وَنُورٌ قُيِّدَا بِوِعَاءِ

[ص] شَبَّه الخمرَ بالنَّار والزُّجاجةَ بالنُّور قد اجتمعا .

١٧ أَوْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ حَبَلًا[2] عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ

(ط)[3] يُروَى « أطبِقَتْ » و « أطبَقَتْ » . وانتصاب « حَبَلاً » على الأوّل على المصدر ، وعلى الثانى على أنه مفعولٌ به ، أى وضَعتِ الحَبَلَ على ياقوتة حَمْراء .

(ص) شَبَّه الكأسَ بِدُرَّة بِكْرٍ لم تُثْقَبْ ، والخمرَ بياقوتةٍ حَمْراء ،

=أسمائها الخندريس ، والخندريس القديمة ، ولعمرى إنها قديمة ولكن ليست جوهراً للأشياء ولا هى أول لها . وما زلت أسمع الشيوخ يقولون هذا البيت من سِنَاوته وتخليطه ، لأن الشعر إنما يستحسن إذا فهم ، وهذه الأشياء التى يأتى بها متفلتة ليست على مذهب الأولين والمتأخرين .

وفى قول الآمدى : « لأنهم ما رأوا أحداً لقبها هذا اللقب » يقول ابن المستوفى : ما أظن أبا تمام أراد به مواضعة الناس على هذا البيت لها ولا اصطلاحهم عليه ، وإنما أراد أن أصحاب جهم بن صفوان لقبوها بذلك ، كما أخبر أن أوصافها جهمية أخبر أنهم وصفوها بذلك ، ولهذا قالوا إن رواية « جهمية الوصّاف » أولى لإعادة ضمير « لقبوها » إليهم .

وقال ابن المستوفى : وفى حاشية الكتاب الذى نقلته فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسماية بخط يحيى بن محمد ابن عبد الله الأرزنى : الذى يؤثر من مذهب جهم فيما سمعته من جماعة من المتكلمين أنه يزعم أن الأفعال كلها لله عز وجل ، وأنه لا فعل لأحد سواه ، فإن كان أبو تمام ذهب إلى هذا فلعله أراد أن الخمر قد جمعت المحاسن ، وأن الأفعال الحسنة كلها مضافة إليها ، وأن ذلك مسلم لها على ما يذهب إليه جهم من التسليم وإضافة الأفعال كلها لله عز وجل .

وأخيراً قال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصولى والمرزوقى والآمدى وأبى العلاء المعرى وغيرهم : فسر كل عالم هذا البيت على ما أداه رأيه إليه ، والصحيح ما قال الآمدى من قوله : « وهذا البيت مما عهدتهم يفيضون فيه وفى تفسيره فلا يصح إلا بالحدس والظن » .

(١) ظ : ويروى « وزهرة كأسها » . وفيها قال الآمدى : شبه الخمر بالنار والزجاج بالنور ، وإنما قال : « قيدا بوعاء » لأن النار والنور لا يقومان بأنفسهما وكأنهما جميعاً جمعا فى إناء يمسكهما ، وهذا معنى جيد ، وهو مسبوق إليه . وذكر ابن المستوفى قول البحترى :

يخفى الزجاجة لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير إناء

وقال أبو نواس :

فكأنها خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

(٢) قال الصولى : ويروى « حملا » .

(٣) لم تتقدم الإشارة إلى هذا الرمز ، والكلام فى ظ منسوب إلى الخطيب التبريزى .

فكأنَّها حَمْلٌ فى جَوْفها وهى حُبْلَى بها . (ع) : يُقال دُرَّةٌ بِكْر ودرَّة عَذْراء أى لم يُوصَلْ إليها ولم تخرجْ مِن صَدَفتها ، شُبِّهتْ بالبِكْر العَذْراء . وقال قومٌ إنما قِيلَ لها عَذْراء لأنّ الصَّدَفةَ إذا فُضَّتْ عنها وُجِدَ فيها ماءٌ قَليل فشُبِّه ذلك بالدّم الذى يَكون عند افتضاض العَذْراء . والفائدة فى هذا البيت أنَّه جَعَلها عذراءَ وادَّعَى لها الحَبَل وأعْرَفُ ما يكون الحبل فى النِّساء، وجَمْعُه أحْبَال ، قال الشاعر :

وداهِيةٍ جَرَّها جَارِمٌ تُبِيلَ الحواضِنَ أحبالَها

وقد استُعِيرَ الحَبَلُ للناقةِ وغيرِها .

١٨ ومَسافَةٍ كَمَسافَةِ الهَجْرِ ارْتَقَى[١] فى صَدْرِها فى الحُبِّ[٢] والبُرَحاءِ

« المسافَةُ » الأرضُ البعيدةُ ، ويُقال إنَّها مأخوذةٌ من سَوْفِ الدّليل التّرابَ ، وهذا اشتقاقٌ صَحيحٌ ، لأنَّه يَفعل ذلك فيَستدِلُّ به على الأرَضِين إذْ كان قد مَيَّز تُرابَها من قَبْل لطول ما سَلَك فى المفاوِز . وقد يَحسن أن تكونَ « المسافة » من السَّوَاف وهو الهَلاك . وقوله « كمسافة الهَجْرِ » أى أنه تَطُول مُدّتُه وإن كانت قصيرةً . وبُرَحاءُ الشوقِ والوَجْدِ مُعْظَمُه . كأنّ هذه المسافةَ لبُعْدِها لا يُرجَى بُلوغُ آخرِها . وشَبَّه بُعْدَ طريقِه ببُعْد المَهجورِ لأن المهجورَ بَعيدٌ وإن قربَ حَبيبُه منه .

١٩ بِيدٍ لنَسْلِ العِيدِ[٣] فى أُمْلُودِها[٤] ما ارْتِيدَ[٥] مِنْ عِيدٍ[٦] ومِنْ عُدَوَاءِ[٧]

« بيدٌ » جمع بَيْداء وهى الأرضُ المُقفِرة ، ولم يقولوا قَفْرٌ أبْيَدَ ، أخذَ من بادَ يَبِيدُ إذا هَلَك، كأنها تُبِيدُ الحيوان . و« العيدُ » قِيلَ فحلٌ تُنسَب إليه

(١) س : « التقت » ورواية الأصل بهامشها .
(٢) س : « الحزن » ورواية الأصل بهامشها .
(٣) س : « لنسل الريح » – هـ ب : « لسير العيد » – ظ : ويروى « لسير العيد فى إمليسها ».
(٤) س ، ظ ، هـ ب : « إمليدها » – د : « فى أبرادها » .
(٥) س ، م : « ما شئت » .
(٦) م ، د ، ظ ، هـ ب : « من هيد » .
(٧) ظ : ويروى « ومن عرواء » وهى الرعدة – د : « ومن علواء » .

الإبل ، وإليه ذهب أبو تمام ، وأصحابُ النسب يزعُمون أنّ العيدَ قبيلةٌ من مَهْرَة بنِ حَيْدان تُنسَب إليهم الإبلُ النجائب . وقوله : « لنَسْلِ العيدِ » يُرادُ به النَّسْلُ الذى يُنسَب إلى العيد لأنّ الإضافةَ تتَّسع ، فأمَّا قولُ ذى الرُّمة :

* منَ العيديِّ قَدْ ضَمرَتْ كلالا[1] *

فيريدُ من النِّتَاج العيديّ أو من الفَحْل العيديّ . « فى أملُودها » : أى فى الأمْلَسِ منها . « ما ارْتيدَ » ما افتُعلَ ، من رَادَ الأرضَ يَرُودُها إذا نَظَرَ ما فيها من المَرْعى .

[ع] وقوله « من عيدٍ » العيدُ ها هنا يَحتمل أن يكون من عيد الأيّام : أى أنّ هذه المفَازَةَ تُؤدّى هذه الإبلَ ورُكْبانَها إلى خيرٍ يَفرحُون به ويَحسُن فيه حالُها . ويَجُوز أن يُريدَ بـ « العيدِ » ها هنا ما يَعتادُها من الأنْضاء ؛ وهم الرُّكْبانُ ، لأنّهم يُسَمُّون ما يَعتاد الإنسانُ عيدًا * ، وعلى ذلك حَملوا قولَ تأبَّط شرًّا :

* يا عيدُ مالكَ من شَوْق وإيراقِ[2] *

أى يا مُعْتَادُ . ويَجُوزُ أنّ تُسمّى المَطيَّةُ الرّديّةُ عيدًا لأنّ الوحشَ تَعْتَادُها و « العُدَوَاء » البُعْدُ[3] .

٢٠ مَزَّقْتُ ثَوْبَ عُكُوبِها بِرُكُوبِها والنَّارُ تَنْبُعُ[4] مِنْ حَصَى المَعْزَاءِ

[ع] « العُكُوب » يُروَى بضمِّ العَيْن وفَتْحها ، فإذا ضُمَّتْ فكأنه

---

(١) البيت : على خوصاء تذرف مأقيها من العيدى قد لقيت كلالا
(ديوان ذى الرمة ص ٤٤٠)

(٢) البيت : يا عيد مالك من شوق وإيراق ومر طيف على الأهوال طراق
(المفضليات ١ : ٢٥)

(٣) قال ابن المستوفى : وحمله على الاشتقاق الثانى أولى لصحة المعنى به وفساد المعنى بالأول معه . وقال : قال الأصمعى : « العدواء » على وزن الغلواء المكان الذى لا يطمئن من قعد عليه ، وهذا مع رواية « هيد » أولى . وقوله « ما ارتيد » و « ما شئت » ونحوها يقال فى الأمور السارة لا الشاقة ، نحو قوله تعالى « وفيها ما تشتهى الأنفس » .

(٤) ظ : ويروى « والنار تلفح » .

فى الأصل مَصْدرُ عَكَبَ ، وإذا فُتحتْ فكأنَّه وَصْفٌ سُمِّىَ به الغُبَار ، عَكَبَ فهو عَكُوب مثل ضَرَبَ فهو ضَرُوب ، ومن هذا اللفظ اشتقاقُ عُكابَة بن صَعْب بن علىّ بن بكرِ بن وائل ، وعِكَبّ حَىٌّ من العَرَب فى بنى تغلب ، وقد سَمَّوْا دُخانَ النارِ عَكُوبًا تَشبيهًا بالغُبار ، والأشبهُ بمذهب الطائى ضَمُّ العين فى « عُكُوب » ليكونَ مشاكلاً لضمة الرّاء فى « رُكُوب » . و « المَعْزاء » أرضٌ غليظةٌ فيها حَصًى ، والمكانُ أمْعَز والجَمْع أماعِز ، جَمَعُوه جَمْعَ الأسماء لأنّ الوصفَ فى هذا الموضع يَنبغى أن يُجمَع على فُعْل ، وقد قالوا مُعْز فى جمع مَعْزَاء وهو قليل. وقوله : « والنَّارُ تَنْبعُ من حَصَى المَعْزاءِ » نحوٌ من قَوْل ذى الرّمة[1] :

يَرُحْنَ بنا والمَرْوُ حَسَّامٍ كأنَّما ... يَطَأنَ بنا منه على عَجَلٍ جَمْرَا *

٢١ وإلى ابنِ حَسَّانَ اعتَدَتْ[2] بِى هِمَّةٌ
وقَفَتْ عَلَيْهِ خُلَّتِى[3] وإخَائِى

٢٢ لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ غَذَوْتَ مَوَدَّتِى[4]
بالبِشْرِ واسْتَحْسَنْتَ وَجْهَ ثَنَائِى

٢٢ – [ص] صَيَّرَ البِشْرَ غِذَاءً للمَوَدَّة لأنَّه يُربِّيها * .

٢٣ أَنْبَطْتُ فِى[5] قَلْبِى لِوَأْيِكَ مَشْرَعاً
ظَلَّتْ تَحُومُ عَلَيْهِ طَيْرُ رَجَائِى

يُقال أنْبَطَ الحافرُ الماء إذا استخرَجَه ، وقال بعضُ الناس إنما سُمِّىَ النَّبيطُ نَبيطاً . لأنَّهم يَستنبطُونَ أى يَستخرِجُونَ الماءَ بالعَمَلِ فى الأرض ،

(١) ديوان ذى الرمة ص ١٧٣ ، وروايته فيه : « وتهجيرنا والمروحام . . . » .
(٢) هـ س : ويروى : « ارتقت بى همة » وفى ظ ويروى : « اعتلت » .
(٣) ب : « مودتى » – ظ : وفى النسخة العجمية « إخوتى وصفائى » وهى فى هـ م .
(٤) هـ س : « محبتى » . (٥) فى ظ : ويروى « من قلبى » .

وقد يجوز أن يُسَمَّى الحرْثُ إنْباطًا واستنباطًا لأنه يَسْتخرج ما عند الأرض .
و« الوَأْىُ » الوَعْد، وقيل هو ضَمان العِدَة . و « المَشْرَع » الموضعُ الذى يُشرَع فيه للورُود ، والشُّروع أول الشُّرْب ، شَرَع فى الماء إذا ابتدأ فى الجَرْع .
يقول : لمَّا رأيتُك قد غَذَوْتَ مَودّتى بِبِشْرك ، واستحسنتَ شعْرِى وثنَانى عليك ، استخرجتُ فى قلبى لعدتك وضمانك مَشْرَعًا من الرجاءِ ظَلَّتْ تَحومُ عليه طيرُه تُريد أن تَرِدَه .

٢٤ فثَوَيْتُ جَارًا لِلحَضِيضِ وهمَّتِى
قَدْ طُوِّقَتْ (١) بكَواكِبِ (٢) الجَوْزَاءِ

« الحَضِيضُ » مُنقطَعُ الجبلِ فى أسفله . يقول : أنا فى الأرضِ وهمّتى فى سُمُوّها كأنَّها مُعَلَّقةٌ بالسماء . وقيل معناه : [ص] أنا بالحضيضِ لسُوءِ حالى ولوَعْده ما قد علَتْ همّتى * وكأنَّ البيتَ ، الذى بعده يَدُلّ على هذا وهو قولُه :

٢٥ إيهِ فَدَتْكَ مَغَارِسِى ومَنَابِتِى اطرَحْ غَنَاءَكَ فى بُحُورِ (٣) عَنَائِى

« إيهِ » أى زِدْ وهاتِ (٤) يقول: زِدْنى على حُسْن تَقريبك وإكرامك

---

(١) ل : « قد طوفت » — ظ : « مقرونة » .
(٢) ب : « بمناكب » .
(٣) م ، ل : « نحور » — قال الصولى : والذى قرأته على أبى مالك « اطرح غناءك فى بحور عنائى » وهو جيد ولذلك وجه قوى . وقال : ويروى « اقذف غناءك فى نحور عنائى » وهذه الرواية الثانية هى رواية ابن المستوفى ، وقال فى شرحها : أى اطرح جودك فى نحور عدمى حتى يغلبه فأستريح من الحاجة والعدم .
(٤) قال الصولى : إيه أى زدنا من الحديث وهات ، فقيل كان يجب أن يقول إيهٍ منونة وقد عيب على ذى الرمة قوله :

وقفنا فقلنا إيهِ عن أم سالم وما بال تكليم الديار البلاقع

وقال من يحتج له : أراد إيهٍ فأقام الإعراب مقام التنوين : ثم قال الصولى : وويهاً للزجر ، وإيهاً كف عنّا ، وواهاً إذا تعجبت منه ، وهذا كله عن أبى العباس ثعلب .

بالغَنَاء والاستغناء عن سواك . وجَعَل لعَنَائه وتَعَبِه بُحوراً تعظيماً لها وتأكيداً لالتزام حُرْمتها .

٢٦ يَسِّرْ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ إِنَّهُ يَنْوِى افتضَاضَ صَنِيعَةَ عَذْرَاءِ

[ص] يقول : أتْبِعِ القولَ بفعلكَ كما تُتْبَعُ الخطْبةُ بمهر ، إنَّه يَنوى أنْ يَبتدِىءَ عندى صَنيعةً عذراءَ لم يَصْنعْها أحدٌ قبلكَ إلىّ * .

وكان قد عملَ هذه القصيدةَ فى يحيى بن ثابت ، وكان من أهل الكلام والشعر ، وفيها * :

٢٧ وإلى مُحَمَّدٍ ابْتَعَثْتُ قَصَائِدِى وَرَفَعْتُ لِلْمُسْتَنْشِدِينَ لِوَائِى[1]

هذا البيتُ يَقَعَ بعد قوله « يَسِّرْ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ » فى بعض النُّسخ .

---

(١) يقع هذا البيت فى بعض الأصول بعد البيت (٢٩) يا غاية . . . وإنما قدمناه هنا لأنه هكذا فى بعض الأصول ، ولأن القصيدة استقرت فى محمد بن حسان فكأن هذا البيت آخر أبياتها ، فأما الأبيات الثلاثة الأخيرة ، (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) فقد أثبتناها لورودها فى النسخ على أنها كانت ضمن القصيدة حين كانت فى يحيى بن ثابت .

وفى أصل س ، د زيادات وتقديم وتأخير لبعض الأبيات نثبتها هنا كما جاءت فى س :

يا غاية الأدباء والظرفاء بل ... يا سيد الشعراء والخطباء
عرفت بك الآداب مجملةً كما ... عرفت قريش الله بالبطحاء
ساويتهم أدباً وجودك شاهد ... بل حالف أن لستم بسواء
بخلائق أسكنتها خلد الندى ... فجهدت منها جهد كل بلاء
لم يبق ذو غدر لريب ملمة ... إلا وقد ألجمته بوفاء
وإذا تشاجرت الخطوب فريتها ... رأياً يفل مضارب الأعداء
رأياً لو استسقيت ماء نصيحة ... لجعلته أرياً من الأرآء
لما رأيتك قد غذوت مودتى ... بالبشر واستحسنت وجه ثنائى
أنبطت فى قلبى لواك مشرعاً ... ظلت تحوم عليه طير رجائى
فثويت جاراً للحضيض وهمتى ... قد طوقت بكواكب الجوزاء
إيه فدتك مغارسى ومنابتى ... اطرح غناك فى بحور عنائى
يسر لقولك مهر فعلك إنه ... ينوى افتضاض صنيعة عذراء

والبيت « عرفت بك الآداب » ، والأبيات الثلاثة التالية له فى ظ .

٢٨ وإذَا تَشَاجَرتِ الخُطُوبُ قَرَيْتَهـــا
جَدَلًا يَفُلُّ[1] مَضَاربَ الأَعْدَاءِ

« تشاجَرتِ الخُطوب » أى لَقِىَ بعضُها بعضًا وتشابكتْ ، ومن ذلك تَشاجَرتِ الرِّماحُ إذا دَخَل بعضُها فى بعض عند الطِّعان ، ومنه اشتقاق الشَّجَرَ لاشتباك الأغصان ، ثم كَثُر ذلك حتى قيلَ شَجَرَهُ بالرُّمح إذا طَعَنَه به ، و« قَرَيْتُها جَدَلًا » من قرَى الضَّيْف ، وهذا على منهاجِ قولهم : قَرَيْتُ الهَمَّ الرَّحيلَ ، أى لمَّا ضاقنى الهمُّ جعلتُ الرحلةَ له قِرًى . ومَن رَوَى « فَرَيتَها » جَعَلَها من الفَرْى وهو القَطْعُ .

٢٩ يا غَايَةَ الأُدَبَاءِ والظُّرَفَاءِ بَلْ يا سَيِّدَ الشُّعَرَاءِ والخُطَبَاءِ[2]

أُخذ « الأديبُ » من الأدْب وهو العَجَبُ ، وقيل الأدَبُ الدَّاهية ، فكأنَّه صارَ يُعْجَبُ منه ، أو صارَ يُتَّقَى شرّه ، كما يُقال رَجُل داهيةٌ إذا وُصِفَ بالعَقْل والمَكْر . ويَجُوز أنْ يكونَ اشتقاقُه من الأدْب وهو الدّعاءُ إلى الطعام ، كأنَّه أمْرٌ أُجْمِعَ عليه وعلى استحسانه . و « الظُّرفاء » جَمْعُ ظَرِيف وهو المُبالِغُ فى الأشياء ، ويُسمُّون الفصيحَ اللسانِ ظريفًا ، وحَكَى النحويُّون قَوْمٌ ظُرُوف فى جَمْع ظَرِيف ، وهو من شَواذّ الجمع ، وقيلَ بل هو اسمٌ له ، وقلما جاءَ فَعيل مجموعًا على فُعُول ، وقد حُكِىَ فى عَسيب النخلة عُسُوب ، وأُتِيِّ السَّيْلِ أُتِيّ ، ورَوَى السُّكَّرى بيتَ أبى ذؤيب :

وإنَّ غُلامًا نِيلَ فى عهـــدِ كاهلٍ لَظَرْفٌ كنَصْل المَشْرَفِيِّ صَرِيحُ

ـ والروايةُ المَشْهورةُ : « لَطِرْفٌ »[3] ـ ، وإنْ صَحّتِ الروايةُ التى ذَكَر فقولُهم ظُرُوف فى الجمع إنما هو جمع ظَرْف ، كما تَقول جَمَلٌ قَرْمٌ

---

(١) ب : « يكف » .
(٢) د : « والحكماء » .
(٣) كما فى ديوان الهذليين : ١ : ١١٤ ، ١١٥ .

وجمال قُرُوم ، والنحويُّون لم يذكروا ظُروفًا على أنه يُقال رجل ظَرْف ، فلذلك أشذُّوه .

٣٠ يَحْيى بنَ ثَابِتٍ الَّذِي سَنَّ النَّدَى وحَوَى المكَارِمَ مِنْ حَيَاً[1] وحَيَاءِ

ثمَّ تَرَكَ هذا كلَّه ، واستَقرَّتِ القصيدةُ على ما كَتَبَ فى مُحمَّد بن حسَّان .

(١) قال الصولى : حياء الوجه وحيا الجود .